مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة

العدد التاسع

1992 م.

التنصير في سيراليون

خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

اسماعيل ابراهيم كروما

طالب بقسم الدراسات العليا - شعبة الدعوة والإرشاد

كلية الدعوة الإسلامية - الجماهيرية العظمى

أولاً: التعريف بدولة سيراليون:

الموقع والمساحة: تقع سيراليون في أقصى غرب القارة الإفريقية على المحيط الأطلسي، وتبلغ مساحتها حوالى 28 ألف ميل مربع [71000 كم^2].

ويبلغ طول ساحلها 210 أميال. تقع بين خطي العرض 10,6,55. شمالاً، وبين خطي الطول 10,16. و 13. غرباً، وهي مستديرة الشكل تقريباً ومناخها استوائي.

حدودها: تحيط بها كل من غينيا وليبيريا والمحيط؛ فتحدّها غينيا في الشمال والشمال الشرقي والشرق، وجمهورية ليبيريا في الجنوب، أما في الغرب فتطل على المحيط.

عدد السكان: تقول الإحصائيات التي أجرتها الأمم المتحدة عام 1985 م إن عدد سكان سيراليون يقرب من أربعة ملايين نسمة. نسبة المسلمين 75٪ على الأرجح ونسبة المسيحيين حوالي 12٪ والبقية بين الأديان الأخرى والوثنية.

أهم القبائل واللغات والمدن:

يوجد في سيراليون 15 تجمعاً قبلياً، أهم القبائل: «المندي» 33٪ وتقطن في الجنوب والشرق، والتمني في الشمال 30٪، والليمبا في الشمال كذلك.

وأهم اللغات المحلية هي لغة المندي ولغة التمني.

وتستخدم اللغة الإنكليزية كلغة رسمية في الإدارة والمدارس. وهناك لغة «الكريول» يتفاهم من خلالها جميع قبائل البلاد.

وتعتبر اللغة المشتركة Lingua Franca أما أهم المدن فهي العاصمة فريتاون وتتميز بسيطرتها على ثالث أكبر ميناء بحري في العالم، وأجمل ميناء طبيعي في غرب إفريقيا.

وتمتاز كذلك بشواطئها الرملية الجذابة للسياحة والاصطياف[1].

أما في الأقاليم فأهم مدنها: «بو» العاصمة الثانية وتقع في الجنوب، و«ماكيني» عاصمة الإقليم الشمالي، «وكيني» عاصمة الإقليم الشرقي والمشهورة بمركزها التجاري والتعدين (الماس والذهب) مما جعلها أكثر المدن كثافة سكانية بعد العاصمة إلى جانب أهميتها الإدارية.

ثانياً: تعريف التنصير:

(أ) **لغة**: كلمة بشَّرَ أي أخبر ما يفرح غيره؛ بشّره به أي أخبره به ففرح؛ ومنه البشارة: الفرح والخبر الصادق، والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به ﴿**فبشرهم بعذاب أليم**﴾ [الانشقاق: 24]. وحامل البشارة أو المخبر بها هو المنصر، والإخبار بها: التنصير. والمعنى العُرْفي للبشارة[2] هو الخبر الصادق السَّار الذي ليس عند المختبر به علمه، منه قوله تعالى: ﴿**وبشرناه بغلام حليم**﴾ [الصافات: 101].

---

(1) انظر: Encyclopaedia Britannica Vol. 16 P. 734.

(2) انظر: لسان العرب 216/1. والمنجد في اللغة والأعلام ط 29. دار المشرق بيروت 1987.

(ب) **اصطلاحاً**: ترادف كلمة «التنصير» كلمة «Mission» أي إرسالية (دينية) تنصيرية أو العمل في حقل التنصير.

وكلمة Missionary تعني المنصر أو مجموعة من الناس يؤدون وظائف معينة تتمثل في دعوة الناس بصورة أو بأخرى إلى المسيحية.

ومن مدلولات التنصير الاصطلاحية:

1 ـ الجهود المنظمة والمقصودة والمدعومة من قبل حكومات أو هيئات لنشر الديانة المسيحية في العالم.

2 ـ حمل الناس بصورة أو بأخرى، أفراداً أو جماعات من عقيدة غير نصرانية سواء أكانت إسلامية أو وثنية أو غيرهما إلى العقيدة المسيحية.

3 ـ اتجاه الكنيسة في الدعوة والعمل المنظم في بلدان كثيرة لتحويل الناس فكرياً وعقائدياً أو سلوكياً إلى النصرانية.

ومع أن المدلول الأخير هو الأدق ـ على ما يبدو ـ إلا أن مصطلح «التنصير» في البحث يكاد يتناول الجميع، ويلاحظ ذلك من السياقات.

وبعد فإن التنصير بهذه التعريفات والمدلولات ينقسم إلى: ـ

1 ـ التنصير العفوي: وهو ما يقوم به الأفراد على نفقاتهم الخاصة.

2 ـ التنصير المؤسسي: وهو ما يعتمد على دعم المؤسسات وهو أوسع نشاطاً وأكثر فعاليةً. وهو المقصود في هذه الدراسة[3].

المبحث الأول:
نبذة تاريخية عن التنصير في غرب إفريقيا

يقول ترمينغام J.S. Trimingham في كتابه «تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا» إنه: ـ

---

(3) عن مذكرة التنصير، للأستاذ/ محمد فتح الله الزيادي. كلية الدعوة الإسلامية.

«لم يكن لأوروبا أي اتصال بغرب إفريقيا في ما قبل القرن الخامس عشر، وحتى بعد حدوث الاتصال فإن نشاطات الأوروبيين كانت مقصورة على السواحل ولم تتغلغل إلى الداخل إلا في القرن التاسع عشر»[4].

نستنتج من هذا النص أن الاتصال العربي بالمنطقة سبق الاتصال الأوروبي وأن الإسلام سبق المسيحية في غرب إفريقيا بقرون، وذلك بحكم كون العرب حملة الإسلام ودعاته، والأوروبيين ناشري المسيحية، وأنه بينما كان الإسلام مألوفاً ومعروفاً لدى القبائل في الداخل نجد المسيحية اقتصرت على السواحل لمدة تزيد على أربعة قرون.

إن أول اتصال أوروبي بغرب إفريقيا تم خلال أواسط القرن الخامس عشر أثناء حملة الكشوف الجغرافية الكبرى التي قامت بها أوروبا بزيادة الملاحين البرتغاليين تحت الإشراف الشخصي من قبل الأمير هنري الملاح(*) Prince Henry The Navigat.

Henry The Navigator الذي أفنى عمره في سبيل تحقيق حلمه في اكتشاف طريق بحري إلى الهند عن طريق سواحل إفريقيا الغربية، ويبدو مما قدمه البرتغاليون من أموال وأرواح إلى الحملة الاكتشافية أن الغرض منها كان أكثر من مجرد البحث عن طريق بحري إلى الهند عبر غرب إفريقيا، وهذا ما يقرره بعض المؤرخين لغرب إفريقيا. إن اضطلاع البرتغاليين بكشف سواحل غرب إفريقيا يرجع إلى غرضين أساسيين: -

1 ـ تحويل طرق تجارة غرب إفريقيا والمحيط الهندي إلى قنوات بحيث تخرج من تحت سيطرة تجار المسلمين في المشرق (الإسلامي) وشمال إفريقيا، وإدخالها تحت نفوذ أوروبي بحيث تدر الأرباح على البرتغال.

2 ـ البحث عن حلفاء مسيحيين أو تنصير الإفريقيين وخلق أعوان منهم في

---

(4) A History of Islam in West Africa J.S. Trimingham, Oxford University Press, 1962, p. 220.

(*) الأمير هنري الملّاح (1394 - 1460 م).

إفريقيا يشتركون مع الأوروبيين في الانقضاض على الإسلام والقضاء على المسلمين[5]. ويبدو أن الحليف الوحيد الذي كان يسعى هؤلاء إلى إنشاء صلات معه، كان الملك الحبشي المسيحي برستر جون Prestar John[6]. هكذا يكون الغرض من تلك الحركة التوسعية دينياً واقتصادياً أو بالمعنى الآخر تنصيرياً وتجارياً، إلا أنه قد يضاف إلى ذلك هدف آخر، وهو احتلال واستعمار الأراضي خاصة إذا اعتبرنا قرار البابا نيكولاس الخامس(*) عام 1454 م الذي كان يقضي بحق البرتغاليين في الاحتلال السلمي لكل أراضي الكفار [غير المسيحيين] التي قد يكتشفونها على طول سواحل غرب إفريقيا[7]، إذن فالهدف الأساسي كان شن هجوم قاض على الإسلام وعلى نفوذ المسلمين في التجارة التي كانت إحدى دعائم نشر الإسلام في آسيا وإفريقيا. فكانت نتيجة الالتقاء بين الإسلام والمسيحية في غرب إفريقيا على هذا الأساس.

لقد حاول بعض المدافعين عن أوروبا المسيحية تبرير هجومها على الإسلام في المنطقة، وما قامت به من استرقاق الشعوب والاتجار فيهم، قائلاً: «من الواضح في كل سجلات التاريخ الأولى أن الرجال الأشداء والشجعان الذين قاموا برحلات عظيمة، والملوك والحكام وغيرهم ممن ساندوهم، كانوا جميعاً وراء مَقْصَدَيْن اثنَيْن: «حمل نور البشارة الحقيقية إلى أمم تعيش في الظلام حتى الآن أولاً ثم الدخول في اتصالات واحتكاكات بالكنائس المسيحية التي كانت موجودة في تلك الأراضي وخلق تحالف عالمي كبير بين المؤمنين [المسيحيين] والعمل من خلاله على إسقاط سلطة المسلمين وإضعاف قوتهم»[8].

---

(5) A History of West Africa J.D. Fage. 4th ed. Cambridge: The University Press, 1969. P. 51.

(6) انظر: Christian Missionarism and The Alienation of the African Mind. The African Society of Social Sciences, Tripoli, 1986. P. 21.

(7) انظر: The Development of Islam in West Africa. Mervyn Hiskett. New York; Longman Group Ltd., 1984. P. 202.

(*) هو البابا الـ 207 في سلسلة الباباوات منذ إنشاء هذه الرتبة في الكنيسة الكاثوليكية.

(8) المصدر السابق ص 202.

إن التصريح بهذه الدوافع شهادة على هذا الفريق وعلى من يدافع عنهم، بل هي آكد مما سبق، الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك فيما سبقت الإشارة إليه.

نلاحظ إذن أن البرتغال كانت أول دولة أوروبية تباشر التنصير في غرب إفريقيا، فقد بعث الملك البرتغالي عشر سُفُنٍ في عام 1481 م وعلى متنها (500) خمسمائة جندي ومائة (100) عامل ثم أكمل حمولتها بقسيسين إلى المناطق الممتدة على السواحل الغربية لإفريقيا، من السنغال إلى ما وراء الكونغو[9] ـ فأنشؤوا إرساليات وتمكنوا من تنصير بعض الملوك والسلاطين في تلك الممالك والسلطنات. واستمرت الأعمال التنصيرية هذه في الفترة من القرن الخامس عشر إلى أواخر القرن السابع عشر اضمحلت بعدها نشاطات الإرساليات التنصيرية من غرب إفريقيا بضعف نفوذ البرتغاليين دون أن يكون لها تأثير معتبر[10]. ويرجع فشل هذه الإرساليات أساساً إلى تورط هؤلاء البرتغاليين ـ حكومة ـ وشعباً ـ في تجارة الرقيق[11]، التي ـ فيما يبدو ـ انشغلوا بها وشغلتهم عن مهمة التنصير لما كانت تدر عليهم من أرباح طائلة.

تلت فشل تنصير البرتغال الكاثوليكي فترةً من الجمود والسكون تقرب من قرن من الزمن دون أن تكون هناك إرساليات منتظمة وفعالة من الدول الأوروبية، واستمرت إلى العقد الأخير من القرن الثامن عشر، عندما بدأت إرساليات تنصيرية بروتستانتية في إنشاء جمعيات تنصيرية في كلٍ من أوروبا وأمريكا، وإرسال منصرين إلى غرب إفريقيا وذلك بعد إنشاء مستوطنات للعبيد المحررين من إنكلترا وأمريكا في كل من سيراليون وليبيريا وتعتبر هذه الفترة الواقعة بين 1787 و 1825 فترة تأسيس الجمعيات والإرساليات التنصيرية في أوروبا وأمريكا كما كانت في نفس الوقت فترة تأسيس وتجهيز المستوطنات للعبيد المحررين ومحاربة الاسترقاق وإلغاء تجارة الرقيق كذلك، لذا فإن التنصير لم يكن له تأثير واضح. وإنما تميز عن

---

(9) انظر: Christian Missionarism, P. 21.

(10) انظر: Christianity, Islam and The Negro Race. E.W. Blyden. Edinburgh The University Press, 1967 PP. 48-50.

(11) انظر: Christian Missionarism, P. 21.

الفترة السابقة بتعدد المؤسسات التنصيرية وبأن المؤسسيين كانوا أكثر حماساً وإخلاصاً من البرتغاليين، كما كانوا ينتمون إلى دول عدة.

بقيت الإرساليات التنصيرية تحت إشراف جمعيات مكونة من أفراد متحمسين لنشر المسيحية إلى حين الإعلان الرسمي عن سيطرة الحكومات الاستعمارية الفعلية على جميع الدول الإفريقية في مؤتمر برلين عام 1885. حيث شهدت إفريقيا عامة وغرب إفريقيا خاصة نشاطات تنصيرية هائلة. فبينما كانت الحكومات الاستعمارية تتكالب على المادة [كانت الإرساليات التنصيرية تتكالب على الروح]، فانتشرت الإرساليات وتنافست فيما بينها، فكانت في كثير من الأحيان تقدم ـ إلى جانب التنصير ـ التعليم والخدمات الصحية كما كانت في معظم الأحيان امتداداً للسيطرة الاستعمارية، ويمكن القول إنه في هذه الفترة أصبح للمسيحية تأثير أوضح مما كان.

وربما يرجع ذلك إلى احتضان الحكومات الاستعمارية لها فقد كانت تحميها وترعاها. بالإضافة إلى تبني التنصير فكرة التعليم الذي كان مصيدة فعّالة في يد الكنيسة، بيد أنه، ومنذ ما قبل استغلال دول إفريقيا الغربية بقليل إلى اليوم، سعت تلك الدول إلى تخطي المراحل السابقة، فعملت على إنشاء كنائس إفريقية مستقلة عن أوروبا من حيث الكهنة ولغة الصلاة والطقوس في معظم الأحيان.

خلاصة لما سبق، فإنه يمكن تقسيم تاريخ التنصير المسيحي في غرب إفريقيا إلى أربع مراحل رئيسية:

(أ) ـ **المرحلة الأولى**: من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر وهي فترة حملة الكشوف الجغرافية الكبرى، وتتميز بأن منصريها كانوا من الكاثوليك غالباً، وأنها لم يكن للتنصير تأثير يذكر كما أن الإرساليات كانت برتغالية فقط.

(ب) **المرحلة الثانية**: وتبدأ بعد قرن من الزمن تقريباً من 1787 إلى 1815. وفيها تأسست جمعيات تنصيرية بروتستانتية في أوروبا وأمريكا وأنشئت المستوطنات للعبيد المحررين في فريتاون بسيراليون ومنروفيا بليبيريا، وألغيت تجارة الرقيق.

(ج) **المرحلة الثالثة**: وتبدأ من أواخر القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين، عندما استعمرت إفريقيا ونشطت الإرساليات التنصيرية تحت ظل الحكومات الاستعمارية، وأثرت المسيحية كثيراً في الإفريقيين. كما كانت هناك منافسات بين الكنائس التي كانت [تتكالب على الأرواح] فكانت المدارس والمستشفيات إلى جانب التنصير والكنائس.

(د) **المرحلة الرابعة والأخيرة**، وتبدأ من الربع الأول من القرن العشرين إلى ما بعد استقلال الدول الإفريقية وحتى اليوم، وتتميز بتأسيس كنائس مستقلة للإفريقيين، متخطين بذلك المراحل السابقة التي تميزت بالتبعية في الكنيسة والحكومة.

المبحث الثاني:
التنصير في سيراليون

أولاً: دخوله ومراحله:

يعود ذكر سيراليون في مجرى الأحداث التاريخية إلى القرن الخامس عشر، وبالتحديد عام 1462 م، وذلك أثناء حركة الكشوف الجغرافية، فكانت هذه الرقعة من المناطق التي اكتشفها الملاّحون البرتغاليون على سواحل غرب إفريقيا. ويعتبر الملاّح البرتغالي بيدرو دا سينترا Pedro Da Cintra أول من أطلق على هذه الرقعة الساحلية اسم «سيراليوا» (جبل الأسد، سيراليون فيما بعد)[12] مما يلاحظ أن سيراليون لم تكن بعيدة عن مجريات الأحداث التنصيرية، بل لقد كانت في بعض المراحل مسرحاً لبعض تلك الأحداث التي جرت في غرب إفريقيا.

دخل التنصير المسيحي إلى سيراليون عام 1605 على يد القسيس المبعوث من قبل إرساليات الرومان الكاثوليكية، كان برتغالياً يُدعى الأب بَرِيْرَا Father Barreira الذي تمكن من تنصير بعض الملوك والسلاطين على السواحل، كان

---

(12) A Short History of Sierraleon. Christopher Fyfe. New ed. Longman, London. P. 6.
وإنما سموها بهذا الاسم لما رأوا من الجبال تطل على الساحل وكأنها أسودٌ تحرسه.

أشهر هؤلاء الملوك، ملك يُسمّى، بعد تعميده، «دوم فليب دي ليون» Dom Philip de Leon الذي طلّق جميع أزواجه إلا واحدة بسبب دينه الجديد[13] لقد حاول هذا القسيس تنصير أحد ملوك قبيلة الصوصو. الذي استدعاه إلى قريته إلا أنه لسوء حظه وصل إلى القرية عالم مسلم من الشمال فنصح الملك بعدم السماح بتعميده مما حال دون تنصير الملك أو إسلامه، فرجع القسيس خائباً إذ فضّل الملك البقاء على وثنيته[14]، وتوالت بعد ذلك الإرساليات الكاثوليكية على سيراليون في العقود اللاحقة إلا أن نجاحها كان ضئيلاً جداً ومقصوراً على مدن الساحل، لأن غالبية الأهالي كانوا يفضلون ديانتهم الأصلية على المسيحية، وبنهاية القرن السابع عشر انقطعت أعمال الإرساليات المنتظمة. وإن كانت هناك زيارات متقطعة من قبل قسيسين متجولين[15] والتي لا تستحق التنويه.

انقطعت الحركات التنصيرية عن سيراليون لفترة زمنية طويلة بقي فيها الاتصال الأوروبي بسواحلها اتصالاً تجارياً أساسه مقايضة السلع الأوروبية بالعاج أو الذهب وغيرهما. ثم تحول الموقف بعد اكتشاف «العالم الجديد» إلى تجارة الرقيق، ليس في سيراليون فقط بل في جميع أنحاء وغرب إفريقيا. واستمرت الحال كذلك إلى حين نشوب حرب الاستقلال في العالم الجديد الذي كان يخضع للحكم البريطاني، فثارت المستعمرات في شمال أمريكا ضد الحكومة عام 1775. واستمرت الثورة إلى أن تخلت عنها بريطانيا.

لقد انضم العديد من الرقيق في الحرب إلى صف القوات البريطانية مقابل حريتهم، وبعد الحرب نقل عدد منهم إلى إنكلترا إلا أن أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية كانت متردية لدرجة أصبحت عاراً على جبين بعض ذوي النزعة الإنسانية أمثال السير «جرنفيل شارب Granville Sharp الذي كان يشعر باشمئزاز شديد حيال الاسترقاق وتجارة الرقيق، فشكل مجموعة تدعى The Humaniterians

---

(13) إفريقيا بين الاسترقاق والتحرر «سيراليون» د. محمد عبد المنعم يونس. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1981. ص 227.

(14) انظر: A Short History of Sierraleone. P. 12.

(15) المصدر السابق ص 12.

والتي كانت تدعو إلى إيقاف الاسترقاق وإعادة الرقيق المحررين إلى إفريقيا[16] لما كان البحث محتوياً على عنوان خاصّ لبحث مراحل ما بعد إعادة الإفريقيين إلى موطنهم الأصل فقد استحسنت عدم ذكرها هنا خوفاً من التكرار المفضي إلى الملل.

ثانياً: اتخاذ بريطانيا سيراليون مستوطنة للعبيد المحررين قاعدة لمحاربة تجارة الرقيق والغرض من ذلك:

لقد نجح «شارب» وزملاؤه في إقناع الحكومة البريطانية بتحمل رعاية أولئك البؤساء وإرسالهم إلى مكان يستوطنونه في إفريقيا الغربية، فكان المستوطن المختار هو سيراليون بعد أن حصلت الحكومة على قطعة أرض على الساحل أطلق عليها «جرانفيل شارب» اسم «The Province of Freedom» «إقليم الحرية» (فريتاون Freetown) فيما بعد، وفي أبريل 1787 وصل أول فوج من المستوطنين إلى سيراليون وكان عددهم ثلاثمائة وواحداً وأربعين رجلاً وامرأة، ولما كان معظمهم غير متزوجين فقد أرفقتهم الحكومة سبعين امرأة أوروبية[17]. وللمرء أن يتساءل: لماذا اختيرت سيراليون من بين مناطق سواحل غرب إفريقيا الممتدة لتكون مستوطنة للعبيد الذين كانوا قد جُلبوا من شتى أنحاء غرب ووسط وجنوب إفريقيا؟

للمؤرخين تعليلات وآراء عدة في هذا الاختيار، ولضيق الموقف فإنه يمكن إجمال هذه الآراء واختصارها فيما يلي:

1 ـ أن يكون وطناً للعبيد غير المرغوب فيهم في أمريكا، وبريطانيا بالذات.

2 ـ أن يكون قاعدة لمحاربة النخاسة ونشر الثقافة الأوروبية والتعاليم المسيحية.

3 ـ إرساء قاعدة تكون نقطة توصيل التجارة الأوروبية المشروعة إلى إفريقيا[18].

---

(16) انظر المصدر السابق ص 22.

(17) انظر المصدر السابق ص 22.

(18) انظر Christian Missionarism P. 73 و «سيراليون وليبيريا» محمد إسماعيل محمد. مؤسسة سجل العرب، 1963. ص 24.

بيد أن ما قاله المنصر «جروفس» C.P. Groves يوضح الأمر أكثر: «إن هدف زجال الخير من إنشاء سيراليون كان أكثر من مجرد إنشاء مستوطنة لتوطين العبيد المحررين، أو إقامة قاعدة لتنمية التجارة المشروعة [يعني ما عدا النخاسة] في الموارد الطبيعية لقارة إفريقيا وإحلالها محل تجارة الرقيق، وإنما كان الهدف جعلها [سيراليون] مركز إشعاع في مكان مظلم، فيسير ما حوله. ويبدد ما فيه من ظلام، ومنه تنتشر القيم الدينية والحضارية لتضيء بدورها ربوع القارة كلها في النهاية»[19].

هكذا يتضح جليًّا الغرض من اتخاذ سيراليون مستوطنة للعبيد وقاعدة لمحاربة تجارة الرقيق، ويمكن إضافة إلى هذه الأهداف ذكر عامل آخر مهم، ألا وهو موقع سيراليون نفسها على المحيط إذ تتمتع بمرفأ طبيعي وحيد في المنطقة يتسع لعشرات السفن مما جعل بريطانيا تتخذه قاعدة بحريتها للقيام بدوريات في عرض المحيط ومصادرة كل سفينة كان يشتبه في وجود الرقيق على متنها، وذلك بعد موافقة البرلمان البريطاني على قانون إلغاء تجارة الرقيق وتحريمها على رعايا بريطانيا عام 1807. ثم أقنعت بعض الدول الأوروبية الأخرى بالموافقة على القانون، وكان أصحاب السفن المصادرة يقدَّمون إلى محاكم في فريتاون، أقامتها الدول الموقعة على قانون إلغاء الاسترقاق وتجارة الرقيق[20].

توالى وصول أفواج من المستوطنين من شمال وجنوب أمريكا إلى المستوطنة في السنوات اللاحقة، ففي عام 1792 وصل فوج النوفاسكوتشيا Novascotia[*] يتألف من 1190 شخصاً، كما وفد إليها فوج «المارون» Maroon[**] من «جاميكا»[21] وبحلول أوائل القرن التاسع عشر كانت فريتاون تتكون من مزيج من العناصر

---

(19) The Planting of Christianity in Africa نقلاً عن إفريقيا بين الاسترقاق والتحرر ص 229.

(20) انظر: A short History of Sierraleone P. 34.

(21) انظر: Christian Mission in Nigeria 1841-1891. J.F.A. Ajayi, 7th ed. Longman, London, 1983. P. 25 (Foot Note).

(*) النوفاسكوتشيون هم العبيد الذين جُلِبُوا من منطقة شمال أمريكا المسماة بهذا الاسم، فأطلق عليهم.

(**) أما «المارون» فهم العبيد الآبقون في جزر الهند الغربية.

العرقية واللغوية والثقافية والدينية؛ فإلى جانب السكان الأصليين وُجِدَ المستوطنون Setllers، ومن سُمّوا بـ Recaptives وهم العبيد الذين كانوا يُصَادَرُون من على البواخر التجارية (لأنهم كانوا في الأسر ثم أُسِرُوا) ويحرّرُون في سيراليون.

وكان معظمهم من بلاد يوربا، وبحلول أواسط القرن التاسع عشر وصل عدد العبيد المصادرين فقط إلى سبعين ألف[22] إلا أن أهم هؤلاء المستوطنين، بالنسبة لموضوعنا، هم فوج نوفاسكوتشيا الذين كانوا نصارى ديانة، إنكليز ثقافة ولغة وعادة.

ولما كان غالبية هؤلاء المستوطنين والعبيد المصادرين قد جُدِّدوا عن أصولهم الدينية واللغوية والثقافية، وحُوِّلوا باسترقاقهم إلى إنكليز لغةً، ومسيحيين ديناً، وأوروبيين ثقافة وسلوكاً في الملبس وحتى في الأسماء.

فإن شارب ووليام ولبرفورس William Willberforce وغيرهما رأوا أن السبيل الوحيد لتكفير هذه الجريمة (الاسترقاق) التي ارتكبها بنو جلدتهم ضد الإنسانية هي تعليم هؤلاء الإفريقيين وتنصيرهم وحمل الحضارة الأوروبية المثلى إليهم[23]. ولعل هذا ما أشار إليه المؤرخ «مايكل كرودار» حيث يقول:

«إن معظم دعاة إلغاء تجارة الرقيق من الإنكليز كانوا مسيحيين متحمسين، رأوا أن حمل بركات دينهم إلى إفريقيا جزء من واجبهم الديني. ولقد حذا بهم حماسهم التنصيري إلى تأسيس عدد من الجمعيات التنصيرية البروتستانتية في التسعينات من القرن الثامن عشر. وكُرِّستْ جهود بعضها في غرب إفريقيا... خاصة في المستعمرات البريطانية»[24].

وهكذا وُجِدَت فكرة تأسيس الجمعيات التنصيرية بعد أن تأسست المستوطنة في سيراليون.

---

(22) A Short History of Africa, P. 156.

(23) انظر: Christian Missionarism. P. 73.

(24) Colonical West Africa. Michael Crowder. London: Frank Casst Co. Ltd., 1978. P.187.

ثالثاً: الإرساليات التنصيرية تتأسس في سيراليون:

بعد إلغاء الاسترقاق، وتأسيس المستوطنة، بدأت أفواج من المستوطنين تفد إليها، كل برفقة منصرين، وكانوا غالباً من أتباع الطائفة البروتستانتية مما يعد بداية لإحياء النشاطات التنصيرية في سيراليون، فقد وصلت إلى سيراليون بعثات تنصيرية على النحو التالي: بعثة الجمعية التنصيرية المعمدية Baptist Mission عام 1765 وكانت تتكون من منصرَيْن، مرض أحدهما وأهمل الآخر التنصير. تلتها إرسالية جلاسكو Glassgow Mission عام 1796. وكانت تتألف من منصرَيْن عاد أحدُهما واشتغل الثاني بالتجارة، ثم وفدت إرسالية مشتركة بين لندن وادنبره تتكون من أربعة منصرين إلا أن نشوب حرب أهلية مَنَعَهم من مباشرة العمل، كما توفي اثنان بعد ستة شهور، وفي عام 1800 وصل فوج «المارون» الذين كان أغلبهم مسيحيي البروتستانت الويسلية[25].

نستنتج مما سبق أن جميع الإرساليات التنصيرية فشلت في أداء مهمتها خلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر، ولعل فشل هذه البعثات يرجع إلى عدم تلقي أعضائها تدريبات خاصة ومعلومات كافية عن المنطقة وفقدهم الأسس العلمية السليمة بالخصوص.

في عام 1799 م كوّن «ولبرفورس» وأصدقاؤه «جمعية التنصير الكنسية» Church Missionary Society (CMS) كأحد فروع كنيسة إنكلترا Church of England في مدينة لندن، كان الهدف منها تدريب قسيسين تدريباً جيداً وإرسالهم إلى الخارج للتنصير. فكانت سيراليون أول حقل باشرت فيه الجمعية أعمالها، واتخذت منها منطلقاً إلى المناطق المجاورة فيما بعد. على أن حقيقة الإرساليات التنصيرية كانت لا تزال غريبة وغامضة على الإنكليز مما جعل الجمعية تعتمد على الألمان البروتستانت في القيام بالمهمة في أول الأمر. وهكذا أصبحوا روّاد هذه البعثات بعد تدريبهم في إنكلترا عام 1807 م[26].

---

(25) انظر: إفريقيا بين الاسترقاق والتحرر ص 230.

(26) انظر: A Short History of Sierraleone. P. 40.

وإفريقيا بين الاسترقاق والتحرر ص 231.

بادىء ذي بدء اتجهت البعثات الإنكليزية ـ التي كان هدفها الأساس تقديم خدمات دينية إلى المجتمع الإفريقي من المحررين في فريتاون وما جاورها ـ اتجهت إلى «ريو بونجاس» Rio Pongas(*) أولاً لتنصير شعب الصوصو، وكان النجاح حليفها بالمقارنة مع سابقاتها، مكنها من ذلك مزامنة بعثتها صدور قانون إلغاء الرقيق وتحويل المستوطنة إلى مستعمرة تابعة للتاج البريطاني بعدما كانت تابعة لشركة سيراليون Sierra Leone Company عام 1808[27].

كان أكبر العقبات أمام هذه الإرساليات هو مشكلة اللغات الإفريقية المتعددة بالمنطقة، فاستعانت بجمعية الإنجيل البريطانية الأجنبية The Biritish Foreign Bible Society لترجمة الإنجيل وطبعه بلغات إفريقية عدة، فكانت عوناً كبيراً في تذليل عقبة اللغة.

أما النوفاسكوتشيون فقد احتاجوا إلى قسيس أوروبي كمرشد ديني لهم، ولما كانوا من أتباع الطائفة الميثودية الويسلية فقد أرسلوا إلى إنكلترا في ذلك المطلب، فأرسلت إليهم جمعية ويسلي التنصيرية (جمعية الإرساليات الميتودية) منصراً يسمَّى المحترم جورج وارين Rev. George Warren، ويلاحظ أن تلك البعثات كلها كانت بريطانية ألمانية بروتستانتية[28].

بالنسبة للإرساليات الأمريكية، فقد بدأت تنزل إلى المستعمرة خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر، وأبرزها: The American Baord of Commissioners for Foreign Missions عام 1810 م، و The General Missionary convention of the Baptist Denomination عام 1814 م وكانتا إرساليتين بروتستانتيتين عملتا في سيراليون بصفة مؤقتة.

أما الجمعيات الأوروبية الأخرى التي تأسست في سيراليون في تلك الفترة. فأهمها جمعية الإرسالية الهولندية Netherlands Missionary Society عام 1797 م، وجمعية باسيل التنصيرية السويسرية The Basel Missionary سنة 1815 م، وكلتاهما

---

(27) انظر: A Short History of Sierraleone P. 26.

(*) Rio Pongas منطقة تطل على الساحل وتقع اليوم في جمهورية غينيا.

(28) المصدر السابق ص 40.

بروتستانتيتان[29]. ويلاحظ تأخر إحياء نشاطات الإرساليات الكاثوليكية في هذه الفترة في سيراليون بالذات.

وهكذا تكون الإرساليات التنصيرية قد تأسست في سيراليون وباشر بعضها العمل في التنصير، وإن لم يكن هناك تأثير كبير إلى حد ما، إلا أنها تقدمت كثيراً.

المبحث الثالث:
نشاطات الإرساليات التنصيرية

أولاً: تنصير المستوطنين وبناء الكنائس:

سبقت الإشارة إلى أن القوات البحرية البريطانية اتخذت من سيراليون قاعدة لها للتصدي للسفن التجارية على طول سواحل غرب إفريقيا، ومصادرة حمولاتها من العبيد وتحريرهم فيما بعد في فريتاون. لأن إعادتهم إلى أوطانهم الأصلية كانت متعذرة، لاحتمال استرقاقهم ثانية في طريق عودتهم فبدؤوا يستوطنون في فريتاون منذ عام 1810 م، وبلغ عددهم خلال العشرينات من القرن التاسع عشرة آلاف شخص، فأصبحت المستعمرة لا تسع لهم مما أدى بالحكومة الاستعمارية إلى البحث عن المزيد من المستوطنات في ش.ه الجزيرة، كان أهمها، ريجنت Regent، ويورك York، وكنت Kent، وليسترمَوْنت Leicester Mount[30].

وخلال فترة تولِّي السيد تشارلز مكارثي Sir Charles Mac Carthy حكم المستعمرات البريطانية في غرب إفريقيا (1815 ـ 1824)، والذي اتخذ من سيراليون مقراً له، شعر الحاكم باستياء من حالة العبيد المصادرين، وخاصة عندما علم أنهم يُهمَلُون في القرى دون تعليمهم أو رعاية شؤونهم.

لقد عمل هذا الحاكم، الذي كان يحلم بجعل سيراليون المركز الذي تنطلق منه المسيحية والثقافة الأوروبية إلى جميع نواحي غرب إفريقيا، عمل على إقناع جمعية الإرساليات الكنسية (C.M.S) بنقل مركزها من «ريويونجاس» إلى فريتاون

---

(29) انظر: إفريقيا بين الاسترقاق والتحرر ص 228 وما بعدها.

(30) A Short History of Sierraleone P.P. 42 - 43.

والتركيز على تنصير العبيد المصادرين، فنصب لكل قرية منصراً، لم يكن عمله مقتصراً على التنصير فحسب، وإنما كان يقوم إلى جانب ذلك بمهمة الناظر الحكومي والمحافظ على النظام، والأمين على المخازن يقوم بتوزيع الملابس والمواد التموينية[31].

كان أبرز المتنصرين من هذا الطراز، المحترم وليام جونسون Rev. William Johnson، القائم على شؤون قرية ريجنت Regent التي كانت تتألف من قبائل الإيبو Ibo وبولوم Bulom والصوصو Susu ومع اختلاف لغاتهم، وتباين تقاليدهم وعاداتهم، فقد استطاع المنصر جونسون أن يوحدهم تحت لواء النصرانية، ساعده على ذلك أن هؤلاء كانوا منقطعين عن دياناتهم الأصلية، فأصبحوا يرون في المسيحية والمسيحيين المحيطين بهم قدوة تحتذى. كما كان لزاماً عليهم تعلم اللغة الإنكليزية للتفاهم فيما بينهم، كل ذلك جعل قلوبهم وعقولهم تتفتح لقبول المسيحية وتلقي تعاليمها بكل يسر وسهولة، مع التكيف بعادات أوروبية في الملبس وحتى الأسماء، فكان المنصرون يطلقون عليهم أسماء جديدة، كما كانوا يختارون لأنفسهم أسماء كان أغلبها أسماء للقادة الإنكليز مثل كُوكَر Coker، نكول Nicol، وليام Wiliam، مَكْفُوي Macfoy وغيرها، أو أسماء للمنصرين، مثل: رينر Renner، متزجر Metzger، جونسون Johnson وغيرها. أو أسماء كبار المستوطنين مثل: وليامز Williams، جاريت Jarrett، ديفيس Davis وغيرها[32]. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأسماء لا تزال مستعملة بين هؤلاء القوم حتى هذا اليوم.

ولما كان الحاكم مكارثي محبًّا للبناء والتعمير، فإنه حرص على بناء الدور الحكومية والكنائس في جميع القرى، ولا تزال بقايا بعضها ترى في ضواحي فريتاون.

ومن الجهة الأخرى فإن الحاكم عمل على تقسيم المستعمرة عام 1817. إلى اثنتي عشرة أبرشية في كل منها قسيس ومعلم[33]، مما جعله يحث جمعية

---

(31) المصدر السابق ص 41.

(32) المصدر السابق ص 42.

(33) انظر: إفريقيا بين الاسترقاق والتحرر ص 232.

الـ C.M.S على استيراد المزيد من المنصرين لتوزيعهم على القرى والأبرشيات، وبهذا تكونت بالفعل مراكز التنصير في سيراليون، وقبل وفاة الحاكم مكارثي كانت المستعمرة قد توسعت وعمت كل نواحي شبه الجزيرة، وانتشرت النصرانية بين العبيد المصادرين والمستوطنين، وفي عهده كذلك أرست الجمعيات التنصيرية قواعدها ورسخت قدمها في أراضي سيراليون من بناء الكنائس وتأسيس المدارس والمعاهد لتخريج المنصرين.

يستنتج مما سبق أن السير مكارثي كان منصراً أكثر منه حاكماً.

ثانياً: التعليم المسيحي والحضارة الأوروبية وأثرها على المستوطنين والأهالي:

عندما بدأت الجمعيات التنصيرية الأوروبية تبعث منصريها إلى المستوطنة أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، كانت من بين العقبات والمشكلات التي واجهتهم الظروف البيئية. فكانت كثرة الأمراض الاستوائية وتفشيها، نضيف إلى ذلك سوء الإعداد وعدم الخبرة بالمنطقة.

لقد عملت جمعية الإرسالية الكنسية على تفادي هذه المشكلات في وقت مبكر، مستغلة الفرصة المؤاتية أمامها المتمثلة في المستوطنين الذين قضوا سنوات في أمريكا وأوروبا، وأصبحت لديهم الاستعدادات اللازمة لتولي مناصب في الكنيسة والإدارة.

ففي عام 1814 أسست جمعية c.m.s. معهداً مسيحياً على سفح جبل ليسستر Mount Leicester لتدريب وإعداد منصرين من المستوطنين، يقومون مقام المنصرين الأوروبيين المعرضين للأمراض[34]. يُعَدّ هذا المعهد الحجر الأساس للتعليم المسيحي في سيراليون بل في غرب إفريقيا، كما كان يعتبر تأسيسه مرحلة من مراحل تنفيذ البرامج والأهداف التي من أجلها اختيرت هذه المنطقة لتوطين

---

(34) المصدر السابق. انظر: A Short History of Sierraleone. P. 42 وكذلك Africa Since 1875. Robin Hallett. The University of Michingan Press, 1970 P.335.

العبيد المحررين ومحاربة الاسترقاق وتجارة الرقيق، وتطور المعهد فيما بعد تطوراً سريعاً بفعل مصادرة العبيد من على السفن وارتفاع عددهم في السنوات اللاحقة، الأمر الذي اضطرت حياله الجمعية إلى نقل المعهد من على سفح الجبل إلى منطقة السهل الساحلي في حي فورابای Fourah Bay، فطوّرته من حيث المبنى والتعليم والتدريب عام 1827. وأبقي عليه اسمه الرسمي «المعهد المسيحي» The Christian Institution لغرض تخريج أكبر عدد من المنصرين ليس للعمل في سيراليون فحسب، وإنما لتوزيعهم على أنحاء من غرب إفريقيا. لقد أدرك المنصرون بالتجربة، مدى فعالية وقدرة العبيد المحررين المنحدرين من مختلف قبائل غرب إفريقيا وتأثيرهم في مجال التنصير وتنفيذ مخطط تحويل غرب إفريقيا إلى المسيحية، فكان أول طالب يُسجَّل بالمعهد هو «صموئيل اجايي كروذر» من قبيلة «آكو» في بلاد يوربا[35]، الذي تولّى فيما بعد نقل المسيحية إلى أراضي يوربا (نيجيريا اليوم) كما سيأتي.

شجع تقدم المعهد السريع الجمعية على تطوير البرامج لتتعدى إلى تدريب المعلمين، ودفعهم كذلك إلى إنشاء مدارس ثانوية وابتدائية تابعة للمعهد، أبرزها وأقدمها:

- مدرسة للبنين تسمى Grammar School عام 1845 م.
- مدرسة للبنات تسمى Anne klash School عام 1849 م[36].

بالإضافة إلى 22 مدرسة ابتدائية كلها تابعة لجمعية C.M.S.

أما جمعية الوسلي التنصيرية فكانت لها 13 مدرسة ثانوية وابتدائية يدرس بها 1541 تلميذاً وتلميذة، يدرسهم ما بين ثلاثين وأربعين مدرساً، وكل هذه المدارس كانت مقامة في فريتاون وضواحيها في شبه الجزيرة.

ومع أن الحكومة الاستعمارية كانت مسؤولة عن تعليم المستوطنين إلا أنها لم تفكر في إنشاء مدارس حكومية إلا في وقت متأخر، ومع ذلك كان اهتمامها

---

(35) إفريقيا بين الاسترقاق والتحرر ص 249.

(36) انظر: The Development of Islam in West Africa P.296.

بالمدارس ضئيلاً، إذ كانت تنفق على المدارس التبشيرية بدلاً من إنشاء المدارس الخاصة بها. استأنفت الإرساليات الأمريكية نشاطها في سيراليون عام 1841 وذلك عندما قتل بعض العبيد طاقم سفينة كانت تشحنهم إلى «كوبا»، فأرغموا الربان على تحويل وجهة السفينة، فكان أن أرسوا على شواطىء أمريكا الشمالية وهناك تمّ تحريرهم، ولدى عودتهم رافقتهم إرسالية تضم عدداً من المنصرين. على أن الإرساليات الأمريكية المنتظمة قد وصلت سيراليون عام 1855 م، وتميزت عن الإرساليات الإنكليزية بأنها كانت، إلى جانب التنصير والتعليم النظري، تقدم لأتباعها المواطنين العلوم بالأعمال اليدوية والحرف والزراعة المتقدمة والتجارة والحياكة، كما أنها ركزت اهتمامها على المناطق النائية في الداخل. وكانوا يبعثون تلاميذهم إلى الولايات المتحدة لمواصلة التعليم العالي.

أهم الجمعيات التنصيرية الأمريكية هي:

- إرسالية المندى The Mende Mission.

- جمعية الأخوة المسيحية المتحدة (U.B.C.) United Berthren in Christ.

- جمعية الأخوة التنصيرية المتحدة للكنيسة الأمريكية American Church of The Evanglican United Brethren المعروفة اختصاراً بـ E.U.B.

ومن أهم مدارسها:

- مدرسة هافورد Haford School للبنات في مدينة مويمبا Moyamba جنوب سيراليون عام 1904 م.

- مدرسة ألبرت أكاديمي Albert Academy للبنين في فريتاون عام 1904 كذلك، كان الغرض منها إعداد شباب منصرين ومعلمين، يضاف إليها المدارس الابتدائية والمعاهد المهنية الأخرى[37].

أما الإرساليات الكاثوليكية فإنها تأخرت في هذه المرحلة عن غيرها في تأسيس قواعدها، وذلك منذ تلاشي نفوذ البرتغاليين وتوقف نشاطهم التبشيري

---

(37) انظر: A Short History of Sierraleone P. 128.

والتجاري في المنطقة، واضمحلال الإرساليات الكاثوليكية من سيراليون أواخر القرن السابع عشر لم تعد هناك جمعية تنصيرية كاثوليكية إلا في عام 1859 عندما وصل إلى فريتاون أسقف الرومان الكاثوليكي وعدد من الكهنة لتأسيس إرسالية لهم، إلا أن عدوى الحمى الصفراء التي انتشرت يومئذ أصابتهم وقضت عليهم عن آخرهم، انقطع بعدها النشاط الكاثوليكي إلى عام 1864 حيث استأنف الأب بلانشت «Balanchet» من أبرشية الروح القدس العمل من خلال إرسالية كاثوليكية حالفها النجاح أكثر من سابقاتها[38]. فأنشأت المدارس وقامت بتقديم خدمات خيرية إلى الفقراء ولكنها بخلاف البروتستانت لم تدرب المواطنين على التنصير أو الأعمال اليدوية والمهن المفيدة.

يلاحظ إذن أن التعليم كان يرتبط بالتنصير ارتباطاً وثيقاً وأن المدارس المسيحية التابعة للإرساليات الإنكليزية لم تكن تقدم العلوم المهنية وإنما كانت تشجع على تعليم العلوم الإدارية والوظيفية، كما أن التعليم كان حكراً في المرحلة الأولى على المستوطنين والعبيد المحررين في المستعمرة دون سكان الداخل ويرجع السبب إلى «أن الحكام المستعمرين كانوا يعتمدون عليهم في الإدارة أكثر من أبناء البلاد الأصليين»[39] الذين أبعدهم الاستعمار عن مراكز النفوذ خاصة المسلمين منهم كما سيأتي. على ضوء ما سبق فإن السؤال الذي يمكن طرحه الآن هو: هل أثَّر التعليم المسيحي والحضارة الأوروبية على المستوطنين والأهالي الأصليين؟ وما مدى هذا التأثير على هؤلاء وأولئك؟. يجدر بنا قبل الإجابة على السؤال المطروح، الوقوف، ولو برهة، عند كلمة «الكريول» للتعرف عليها حتى تتضح لنا الرؤية فيما بعد، فمن هم الكريول؟ كلمة «الكريو» اسم أطلق على أولاد المستوطنين وسلالة العبيد المحررين الذين وُلدوا في سيراليون، ذلك لأن غالبية المستوطنين الأصليين ـ توفوا خلال السبعينات من القرن التاسع عشر، وكان هؤلاء قد تزاوجوا واختلطوا بحيث أصبح، بمرور الزمن، من الصعب التمييز بين المستوطنين والعبيد المحررين من القبائل الإفريقية من ناحية، وبين هؤلاء وأفراد

---

(38) المصدر السابق ص 75.

(39) The Development of Islam in West Africa. P. 296.

القبائل المحلية الذين نزحوا إلى المستوطنة، واستحسنوا الحياة الأوروبية والديانة المسيحية وقلدوها من ناحية أخرى، فهؤلاء جميعاً يحملون اسم «الكـريول» CREOLE وتسمى لغتهم لغة الكريو krio وهي عبارة عن مزيج وخليط من اللغات الفرنسية والإنكليزية والإسبانية والإفريقية، ويغلب عليها الطابع الإنكليزي لكثرة احتوائها على مفردات إنكليزية[40] وأغلبهم مسيحيون، على أن مجتمع الكريول في فريتاون يحتوي على أقلية مسلمة لا يستهان بها ـ كما سيأتي ـ.

إن اصطناع التنصير داخل هذا المجتمع المخلوط في سيراليون بمساعدة ومساندة الاستعمار كان له آثار بالغة الخطورة في مسيرة البلاد التاريخية ومصيرها السياسي والثقافي والاجتماعي كما أن الاعتناء المطلق بتعليمه دون غيره أثر كثيراً في العلاقة بين الأهالي والمستوطنين. ولما كان لهذا التعليم وتلك الحضارة جوانبهما الإيجابية والسلبية فإن الموضوعية تقتضي إيراد أهم الإيجابيات والسلبيات ثم مناقشتها والاستنتاج منها.

(أ) أهم الإيجابيات:

إظهار اسم سيراليون مبكراً في ميدان التعليم والثقافة الغربية، وحيازتها على قصب السبق إلى كثير من الحضارات الأوروبية في المنطقة، فأوجدوا أول كلية جامعية في إفريقيا غير العربية، وتأهل أول سيراليونيّيْن للطب في بريطانيا عام 1856 قبل أية دولة في غرب إفريقيا بسبعين عاماً[41] اعتماد المستعمرات البريطانية في غرب إفريقيا على سيراليون في إعداد المنصرين والمعلمين وفي تنظيم الخدمات الحكومية فكان منهم الموظفون والأطباء والقضاة والمحامـون وكبار الإداريين بالإضافة إلى التجار والمهنيين والحرفيين الذين نقلوا التجارة والنجارة والخياطة والزراعة الأوروبية إلى سواحل غرب إفريقيا، وأخيراً فإن التعليم جعلهم قادة الفكر وطلائع التقدم السياسي والاجتماعي في غرب إفريقيا[42].

---

(40) انظر: A Short History of Sierraleone. P. 76.

(41) انظر: سيراليون وليبيريا ص 24.

(*) الطبيبان هما Dr. J.A. Harton و Dr. W.B Davis.

(42) انظر: A Short History of Sierraleone P. 100.

(ب) أهم السلبيات:

جعل التعليم الخاص من المستوطنين نخبة متميزة في المجتمع، وأداة طيعة في يد الاستعمار الذي أراد أن يدير البلاد بواسطتهم ويضرب بهم كل المصالح الوطنية، فمكنهم ذلك من إحكام السيطرة على البلاد بكل سهولة، كما أن تعليمهم المسيحي وتحضرهم الأوروبي جعلهم يتعالون ويتكبرون على الأهالي في الداخل، فكانوا ينظرون إليهم باحتقار وإهانة مِمَّا سبَّب بغض وكراهية الأهالي لهم، إذ كانوا يسمون الواحد منهم بالرجل البدوي «Country Man» وربما كان ذلك بعض الأسباب في عدم رضاهم ـ خاصة السلاطين ـ بتعليم أولادهم في المدارس النظامية لكيلا يتعالوا عليهم فيما بعد، وأخيراً فإن معظم المتعلمين الأوائل كانوا يدينون بالولاء المطلق للاستعمار والتنصير أكثر من ولائهم للوطن.

إن عناية التنصير والاستعمار الفائقة بتعليم المستوطنين والعبيد المحررين لم تكن لتعود بالفائدة الحقيقية على البلاد، وإنما كانت من أجل ترسيخ قدم الاستعمار في غرب إفريقيا وساعد على ذلك إنشاء الكلية الجامعية وغيرها من المؤسسات التعليمية التي وإن استفاد منها المواطنون فيما بعد، إلا أن الغرض الأساسي منها كان تدريب المنصرين لنشر المسيحية، فما كانت سهولة تغلغل المسيحية من سيراليون إلى نيجيريا إلا بواسطة المواطنين النجيريين الذين تعلموا في الكلية، والطبيبان المشار إليهما آنفاً استخدمتهما بريطانيا في جيشها ولم يعودا إلى البلاد إلا بعد تقاعدهما[43]، وكذلك بعض المحامين استبقتهم الحكومة الاستعمارية في خدمتها فلم يعودوا إلى سيراليون. أما التجار وإن نجح بعضهم، لكن معظمهم كانوا يمثلون قنوات تمرير البضائع الأوروبية إلى غرب إفريقيا وما كان المهنيون إلا أداة لمد النفوذ التبشيري في المنطقة وفق السياسات المرسومة والمخططات المدروسة، كما سبق، أما سيطرتهم على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع قلة عددهم فقد كانت لصالح الاستعمار والتنصير كذلك، لذا فإن نفوذهم تلاشى بُعَيْد الاستقلال وتولى أبناء البلاد الأصليين زمام الأمور، وإن كان هؤلاء كذلك من تلاميذ المنصرين.

---

(43) المصدر السابق، ص 77.

نستنتج من كل ذلك أن الجانب الإيجابي أصبح، على ما يبدو خبراً بعد أثر، فلم تعد سيراليون لامعة في تلك الميادين إلا في كتب التاريخ بل لقد انقلبت الموازين على كل الأصعدة، أما الجانب السلبي فلا يزال معظم آثاره على ما يبدو، باقية، فلا تزال مخلفات الاستعمار تغزو أفكار الأجيال ثقافياً وفكرياً واجتماعياً، ولا تزال جذور التنصير ثابتة ومؤسساته قائمة تنفذ مخططاتها وبرامجها. والأنكى من ذلك كله هو السياسة التي تبناها المنصرون في إرغام كل راغب في التعليم في مدارسهم على المسيحية والتي أدت إلى تحويل العديد من أفراد الأسر المسلمة إلى المسيحية فغدت الأسرة الواحدة تتألف من أبناء مسيحيين، وآباء مسلمين خاصة بين القبائل التي وصل أبناؤها إلى المناصب الرئيسية[44] كقبائل المندي والتمني والقاي.

ثالثاً: الانتقال بالتنصير من سيراليون إلى نيجيريا أسبابه ودوافعه:

إن الهدف من تأسيس مستوطنة سيراليون ـ على ما سبق ـ كان تنصير وتغريب غرب إفريقيا انطلاقاً من تلك القاعدة أولاً، ثم اتخاذها منفذاً للتجارة الأوروبية إلى المنطقة ثانياً، لذا تلاحظ أن الذي تولى أمر المستوطنة في أول عهدها كان «شركة سيراليون» ولما كان الهدف الديني المسيحي هو الأساس، فإن نشاط الجمعيات التنصيرية لم يقتصر على المستوطنة فقط وإنما توسع وتعدى المستوطنين ليعم الوثنيين من الإفريقيين، وتحقيقاً لهذا المطمع تولدت فكرة تأسيس كنيسة إفريقية ضمن الطائفة الأنجليكانية تكون مستقلة عن إنكلترا في رجال الدين والتمويل.

ومع أن التنصير من قبل الكنائس الوسلية والميتودية والأنجليكانية انتشر من سيراليون إلى كل من غامبيا وغانا ونيجيريا إلا أنني سأقتصر على ذكر نيجيريا، وبشكل موجز.

سبق وأن أشرت إلى أن قبائل يوربا كانوا الأغلبية بين العبيد الذين صادرتهم

---

(44) انظر: إفريقيا بين الاسترقاق والتحرر ص 233.

سفن البحرية البريطانية، وعندما أطلق سراحهم في سيراليون استقروا هناك فمنهم من تعلم العلم أو المهنة أو الحرفة، ومنهم من زاول التجارة، وأتقنوا كل الأعمال التي باشروها لدرجة أن نال بعضهم شهرة محلية كمنصري البروتستانت، وموظفي الحكومة أو مهنيين وحرفيين، كما كسبوا الثراء من خلال مزاولتهم النشاطات الاقتصادية والتجارية.

وسرعان ما اكتظت بهم فريتاون، فلم يعودوا يحصلون على الوظائف والأعمال فبدؤوا ينتشرون في المستعمرات البريطانية الأخرى طلباً لأسواق رائجة لبضائعهم بالنسبة للتجار أو طلباً للعمل والوظيفة بالنسبة لذوي المهن والمهارات منهم.

وفي الثلاثينات من القرن التاسع عشر قرر عدد من السيراليونيين (العبيد المحررين من اليوربويين المولد) العودة إلى وطنهم الأصل حيث نزلوا في منطقتي بَدَجري Badagri(*) وأبيوكوتا Abcokuta(*). وقد ازدادت هجرة هؤلاء بين العامين 1839 و1842 حيث هاجرت مئات عديدة منهم إلى وطنهم بعد فك أسرهم في سيراليون من السفن التجارية[45].

استاء المنصرون في سيراليون من هذه الهجرات الجماعية التي كانت ستؤدي إلى إهمال أو نبذ أبرشياتهم في سيراليون من الاستيطان المسيحي حيث «الله معروف» كما عبر عن ذلك أبرز المنصرين في فريتاون هنري تاونسند Henry Townsend: «إن مغادرة المهاجرين سيراليون يعني أنهم قد تركوا البلد حيث كان الله معروفاً إلى الآخر حيث ليس الله معروفاً، وبذلك يولون ظهورهم عليه»[46]. وبعد بضع سنوات التحق بعض المنصرين بالمهاجرين الذين كانت لهم اتصالات بالكنيسة البروتستانتية في سيراليون[47]، على أن التنصير المنتظم والفعال في نيجيريا بدأ عام 1844 بعد ما سبقته الحملة التبشيرية المعروفة تاريخياً بـ «حملة

---

(45) انظر: A History of West Africa. P. 129.

(*) هما مدينتان تقعان جنوبي نيجيريا على مقربة من العاصمة لاغوس.

(46) Christian Mission in Nigeria P. 29.

(47) انظر: Africa Since 1875 P.288.

النيجر» Niger Expedition عام 1841[48] كان الهدف منها إرساء قاعدة التنصير في أراضي يوربا على ضفتي نهر النيجر بالذات.

لقد كلفت هذه الحملة الحكومة البريطانية مائة ألف جنيه، وكانت تتألف من مائة وخمسين أوروبياً وبعض الإفريقيين من سيراليون.

وتجدر الإشارة إلى أنه كان من ضمن أعضاء الحملة: ممثلان للحكومة البريطانية لتوقيع اتفاقيات مع الأهالي عند اللزوم، وللبحث عن إمكانية إيجاد ممثل دائم للحكومة؛ علماء في مختلف العلوم، مجهزون بأحدث الأجهزة العلمية وقتئذ لرصد المناخ والنبات والحيوانات والتربة، ولدراسة أحوال السكان ومؤسساتهم الاجتماعية والسياسية. وكان منهم تجار لمراقبة حركة التجارة على نهر النيجر والعملة المتداولة، بالإضافة إلى قسيسين من جميعةالـ C.M.S. للتقرير عن إمكانية العمل التنصيري بالمنطقة، كما كان منهم ممثلون من الجمعية الزراعية للحصول على قطعة أرض مناسبة على مقربة من النهر لإنشاء أول حقل مثالي، العمل الذي خصص له 24 شخصاً دُرّبوا في سيراليون، وارفقوا بالمنصر السيراليوني «توماس كينج» Thomas King ليعلمهم الصلوات المسيحية.

ومع أن هذه الحملة لم يحالفها النجاح المنشود، وذلك بوفاة 45 من الأوروبيين وتعطيل بعض الخطط بذلك، ولكنها تعتبر بداية للأعمال التنصيرية الجديدة في نيجيريا[49]، إذ توالت الحملات في السنوات 1854 و 1857 و 1871 مما يدل على مثابرة القوم وصبرهم على العمل والسعي لبلوغ مبتغاهم وإصابة أهدافهم.

بمناسبة الحديث عن حملات النيجر التنصيرية تجدر الإشارة إلى أن «صموئيل أجايي كرَوْذر» Sumuel Ajayi Crowther من أصل نيجيري من قبيلة يوربا، كان له دور ريادي في القيام بتلك الحملات. كان صموئيل من العبيد المحررين Recaptives. أسِرَ في الخامس عشر من عمره عام 1822 عندما أغير على

---

(48) انظر: A History of West Africa. P. 129.

(49) Christian Mission in Nigeria. P. 13.

قريته أثناء حرب أهلية بين قبائل يوربا، وبعد مروره بأيد عديدة، بين بيع وشراء انتهى به المطاف إلى أيدي النخاسين البرتغاليين الذين شحنوه مع غيره في سفينتهم التي تمت مصادرتها وتحرير العبيد الذين كانوا على متنها في ساحل سيراليون، فكان بذلك أول يوربوي يصل سيراليون في يونيو عام 1822. وتم تعميده في العام التالي، ويُسمَّى بهذا الاسم تبركاً بأحد القسيسين البريطانيين[50].

اعتنت الكنيسة بتعليمه لما عهدت فيه من ذكاء فكان ضمن الدفعة الأولى التي تخرجت في كلية فورابای، عمل بعد ذلك معلماً ومبشراً لبضع سنوات ثم أرسل إلى إنكلترا لمواصلة الدراسات اللاهوتية، وبعدها استأنف العمل في سيراليون إلى أن أرسل ضمن الحملة التنصيرية إلى نيجيريا عام 1841 بعد أن استعان بالمنصرين البيض في استعمال الحروف اللاتينية لكتابة لغة يوربا وترجمة الإنجيل فيها «فكان بذلك أول من وضع اللبنات الأولى للتنصير في نيجيريا»[51]. في عام 1843 عين صموئيل أسقفاً على جميع الكنائس الميتودية والأنجليكانية في المستعمرات البريطانية، فكان بذلك أول أسقف إفريقي في غرب إفريقيا، وكان يتخذ من سيراليون مقراً لأسقفيته إلى أن تم إنشاء أبرشيات في عدد من مدن منطقة يوربا مثل «برجري» و«أبيوكوتا» و«أونتشا»(*) في أعقاب الحملات التنصيرية المشار إليها فيما سبق، ومن الملاحظ، أن الأسقف صموئيل كان أول من ألقى الوعظ الديني المسيحي بلغة يوربا.

لقد استعان الأسقف كروذر بغيره من المنصرين السيراليونيين في نشر المسيحية في نيجيريا، ففي «حملة النيجر» عام 1857 تمكن من تأسيس إرسالية وبناء كنيسة في مدينة أونتشا. وولّى عليها القس J.C. Taylor المولود في سيراليون من أبوين من قبيلة الإيبو Ibo[52].

---

(50) المصدر السابق، ص 20.

(51) انظر: الإسلام في نيجيريا. آدم عبد الله الألوري ط: 3 أجيجي: مركز التعليم الغربي الإسلامي، 1398هـ - 1978 م. ص 148.

(*) هي إحدى المدن النيجيرية في الجنوب.

(52) انظر: Christian Mission in Nigeria. P. 33.

إن جهود الأسقف كروذر وغيره في نشر المسيحية في غرب إفريقيا بعامة وفي نيجيريا بخاصة، كانت جهوداً جبارة ومهمة لدرجة أنه يمكن القول ـ وبدون المبالغة ـ إن النشاطات التنصيرية في غرب إفريقيا كانت بجهود أوروبية إفريقية مشتركة، إذ ما كان دخول التنصير إلى نيجيريا سهلاً بدون دليل من أبنائها، ونفس الشيء يقال عن غانا وغامبيا وغيرهما.

إن نجاح الأسقف «كروذر» في كتابة الإنجيل بالحروف اللاتينية كان قضاء على الحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغة اليوربوية، كما أن ذلك شجّع التنصير والاستعمار على تركيز اهتمامهما ونشاطهما على جنوب نيجيريا بالذات كمنفذ لفرض سيطرتهم على البلاد، وظهر للمستعمرين جدوى الاعتماد على خريجي كلية «فورارباي» في تنفيذ مخططاتهم التنصيرية والاستعمارية في المنطقة.

وهكذا بدأت الإرساليات من الكنائس الأوروبية والأمريكية تتدفق على بلاد «يوربا» وتزاول التنصير في القرى والمراكز التجارية على الأنهار، كما نشطت التجارة الأوروبية على طول سواحل نيجيريا خلال العقدين التاليين للحملات[53]. وما أن رسخت أقدام القوم حتى شرعوا في محاربة الإسلام والتعليم العربي، فهدموا كل ما يمت إلى الإسلام بصلة وبنوا مكانه ما له صلة بالكنيسة، وسيطرت الجمعيات التنصيرية على المؤسسات التعليمية، وفرضوا بذلك التعليم الكنسي الغربي على مسلمي الجنوب بالذات الذين غَدَوْا حائرين في أمرهم إلى أن جاء من سيراليون إدوارد ويلموت بليدن Dr. Edward Wilmot Blyden، مدير مصلحة المعارف في سيراليون يومئذ، والذي سبق أن عالج المشكلة المماثلة في سيراليون مع المسلمين، فأكسبته خبرته معرفة بطريقة حل المشكلة في نيجيريا حيث طلب إلى الحكومة البريطانية الاستعمارية فتح مدارس حكومية خاصة يتعلم فيها أبناء المسلمين المعارف الإنكليزية إلى جانب ديانتهم الإسلامية، فوافقت الحكومة على طلبه، ففتحت أول مدرسة في «لاغوس» Lagos عام 1897 لهذا الغرض يشرف عليها مدير مسلم[54]. وبهذا تمكن المسلمون من إدخال التعليم الغربي في

---

(53) انظر: Africa Since 1875. P. 288.

(54) انظر: الإسلام في نيجيريا ص 150.

مدارسهم دون أن يقعوا في مصيدة التنصير والاستعمار إلّا نادراً.

نستنتج إذن أن أهم أسباب الانتقال بالتنصير من سيراليون إلى نيجيريا كانت الهجرات الجماعية المتتالية التي قام بها النيجيريون الذين حُرِّرُوا من الرق في سيراليون، كما يمكن القول إن دوافعه لم تكن جديدة عارضة وإنما كانت تنفيذاً لخطة، وتحقيقاً لأهداف من أجلها أنشئت المستوطنة ألا وهي نشر المسيحية والثقافة الأوروبية في غرب إفريقيا عن طريق المستوطنة والمستوطنين.

رابعاً: بين الإسلام والتنصير والاستعمار في سيراليون:

على ضوء كل ما سبق يمكن القول بأن منطقة غرب إفريقيا بعامة كانت من أهم نقاط الالتقاء بين الإسلام والمسيحية، وإن سيراليون، كأهم نقطة انطلاق التنصير بالمسيحية إلى أنحاء عدة من غرب إفريقيا، يمكن اعتبارها نقطة من نقاط هذا الالتقاء بصفة خاصة.

من المسلَّم به تاريخياً أن الإسلام سبق المسيحية في غرب إفريقيا بقرون، وتدخل المنطقة المعروفة حالياً بسيراليون في ذلك النطاق، أي إن الإسلام دخل سيراليون قبل المسيحية بجميع مراحلها، وإن لم يكن منتشراً بصفة ملحوظة، ولكن وجدت عناصر إسلامية فاعلة ومعتبرة ومؤثرة. فرواية العالم المسلم والقسيس الكاثوليكي الأول في سيراليون، الآنفة الذكر؛ وما تذكره كتب التاريخ من أن أسماء إسلامية محرفة «ظهرت على شخصيات بارزة شرقي البلاد منذ عام 1700 م، مثل «مورانا» أي عمران، و«لامين» أي الأمين، و«دودر» أي داود»[55]؛ وأن ملك نمجبانا Nemgbana (1710 ـ 1793)، أحد ملوك قبيلة التمني أرسل أحد أبنائه إلى المغرب لتعلـم اللغة العربية والدين الإسلامي[56]؛ وأن علماء مسلمين كانوا أعواناً ومستشارين لبعض الملوك منذ القرن السادس عشر[57]، فإن ذلك كله يقف دليلاً

(55) الإسلام في سيراليون. مجلة الأزهر، المجلد 21. ص 281 وما بعدها.

(56) انظر: Sierraleone Heroes: 50 Great Men and Women helped Build the Nation Team of Intellectuals. London: Commonwealth Press, 1988. P. 8.

(57) المصدر السابق ص 6.

ساطعاً على ما أشرت إليه من سبق الإسلام المسيحية إلى المنطقة.

كما أن هناك علماء مسلمون اهتموا بالتعليم وتأسيس المدارس والمعاهد الإسلامية، نذكر منهم العالم «فودي تروالي» (1790 ـ 1880) الذي أسس معهداً شمالي البلاد كان التعليم فيه غاية في الجودة والنظام والروعة أعجب به المراقبون من الخارج لدرجة أن الدكتور بليدن Dr. Blyden مدير المعارف يومها، أطلق عليه اسم «أكسفورد إفريقيا». هكذا كان الوضع بالنسبة للإسلام والتعليم الإسلامي لدى وصول التنصير والاستعمار عام 1787 م إلى المستعمرة، وقبل الإعلان عن دخول كل البلاد تحت حماية التاج البريطاني في 1896/8/31 م ترى ماذا كان موقف الاستعمار والتنصير من الإسلام والمسلمين؟!

إن موقف التنصير والاستعمار من الإسلام والمسلمين كان أعنف ـ على ما يبدو ـ مما كان عليه في مناطق غرب إفريقيا الأخرى. فقد دخلا البلاد مجهزَيْن بمعدات بشرية لمقاومة المسلمين وإعاقة المد الإسلامي، وتتمثل تلك المعدات في المستوطنين من العبيد المحررين الذين تنصروا بحكم استرقاقهم في أمريكا وبريطانيا، ثم هُجِّروا إلى سيراليون، ولما استقرّ بهم المقام، استخدمهم هؤلاء المبشرون والمستعمرون في ضرب المصالح الإسلامية وطمس معالمها، فعمدوا أولاً إلى القضاء على التعليم الإسلامي، وأغلقوا مدارسهم في وجه المواطنين وأبناء المسلمين، وركزوا على تعليم أبناء المستوطنين والمحررين، وفتحوا أمامهم أبواب التقدم، وهيؤوا لهم وحدهم الفرص في الوظائف الحكومية والتجارة «وأبعدوا أبناء المسلمين من قبائل المندي والتمني والقاي(*) عن ساحة التقدم والنفوذ، وبالتالي تقدم التعليم الغربي لصالح (الكريول) المسيحيين فأصبحوا ـ مع كونهم الأقلية القليلة ـ ذوي النفوذ في المجتمع»[58] كان هذا هو موقف التنصير والاستعمار من الإسلام والمسلمين، بصفة عامة، وهو موقف يتسم بالعداء والحقد والبغض.

أما في المستعمرة (فريتاون وما جاورها) فالأمر كان أدهى وأمر. فقد كان من

---

(58) The Development of Islam in West Africa PP. 296-7.

(*) القاي (Vai) إحدى قبائل سيراليون في الجنوب.

بين العبيد الذين حرروا من على سفن النخاسين مسلمون ـ رجالاً ونساء وأطفالاً ـ من قبيلة يوربا الذين فضلوا استيطان سيراليون على العودة إلى وطنهم الأصلي، ومع أنهم اندمجوا في مجتمع الكريول البوربوي المسيحي، وشاركوهم في بعض العادات، لكنهم احتفظوا بهويتهم الإسلامية والتزموا في تصرفاتهم وحياتهم ما تمليه عليهم عقيدتهم الإسلامية وتعاليمها وثقافتها، مما جعلهم محل شبهة وريبة من قبل الحكومة، لولا حماية أحد المحامين لهم الذي أسكنهم في جزء من أراضيه[59]. كان ذلك موقف الحكومة العدائي منهم.

أما موقف المستوطنين المسيحيين، ذوي النفوذ من «المارون» والنوڤاسكوتشيين، فقد اتسم باحتقار المسلمين واضطهادهم مما اضطرهم إلى الهجرة نحو حدود فريتاون الشرقية في ضاحيتَيْ فورا باي Fourah Bay وفولا تون Fula Town حيث اندمجوا في قبيلتي الفولا والماندنجو، فكانت الضاحيتان أهم مراكز المسلمين في فريتاون إلى اليوم، حيث بنوا مساجد وبدأ الوثنيون في القرى المجاورة يدخلون في الإسلام[60] على أيديهم. وبمرور سنين بَدَأ الإسلام ينتشر بسرعة بالمنطقة لدرجة لفتت نظر حاكم المستعمرة البريطاني، وهاله الأمر، مما أدى إلى أن يكتب إلى وزير المستعمرات يشكو الوضع قائلاً: «إن المتحولين [المسلمين] قد ثبّتوا أقدامهم في ضواحي فريتاون الشرقية وعلى الأخص في الضاحيتين «فورباي» و «فولا» وأقاموا فيهما مسجدين كبيرين مرموقين...»[61]. وأخيراً قرر الحاكم طردِ المسلمين من البلاد بعد أن أعطاهم مهلة يفكرون فيها؛ إما الجلاء وإما التنصير **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾**. وهكذا أيّد الله عباده الذين نصروا الله فنصرهم، وفضلوا طردهم على تنصيرهم، فلم تكد المهلة تنتهي حتى بوغت الحاكم بأمر انتقاله من سيراليون، ثم يأتي خَلَفُه فيلغي القرار المشؤوم ويُبقي على المسلمين. ولكن هل وقف الأمر عند هذا الحد وانتهى؟

---

(59) انظر: A Short History of Sierraleone. P. 54.

(60) انظر: الإسلام في سيراليون، مجلة الأزهر السابقة.

(61) نقلاً عن المصدر السابق.

إن القرار الجديد لم يعجب المسيحيين من المستوطنين الذين كانوا يكرهون المسلمين ويكنون لهم في صدورهم الضغائن والحقد، ففي عام 1839 أثار المسيحيون الشغب ضد المسلمين فأحرقوا مساجدهم وانتهكوا حرماتهم وأعراضهم لا لشيء إلا لدعوتهم الناس إلى الصلاة، مما حمل بعضهم على الهجرة إلى القرى المجاورة مثل موري تاون Murray Town وهستنجس Hastings. وأباردين Aberdeen وغيرها التي أصبحت فيما بعد مراكز للمسلمين[62]. وبعد إعادة بناء المسجدين في السنوات اللاحقة أصبحا يستقطبان أكبر تجمع لمسلمي الآكو(*) في فريتاون المعاصرة[63].

أما ناحية التعليم فإن أولادهم كانوا محرومين من التعليم الغربي فكانوا يرسلونهم إلى المدارس القرآنية كما كانوا يرسلون المتفوقين منهم إلى مدينة دنجراية DINGRAIYA في فوتا جالون (غينيا اليوم) وذلك منذ عام 1841 م ليحصلوا على التعليم الإسلامي العالي.

نلاحظ إذن أن تضحية هؤلاء القوم المسلمين كانت كبيرة في نشر الإسلام في فريتاون، فإليهم يرجع الفضل في منافسة المسلمين المسيحيين اليوم في المناصب ومزاحمتهم في مراكز النفوذ، فقد كانوا أول من أسسوا مدارس إسلامية نظامية أيام الاستعمار بمساعدة الدكتور بليدن، ولا تزال الضواحي والأحياء التي يقطنونها تعج بالمسلمين، وتشاهد في سمائها عشرات المآذن يرتفع منها صوت الحق خمس مرات كل يوم منادياً إلى الصلاة والفلاح.

لم ينج الأفراد والشخصيات الإسلامية الوطنية من اضطهاد التنصير والاستعمار كذلك خاصة من أفراد القبائل الذين سكنوا فريتاون، نذكر منهم شخصية واحدة كمثال، وهو دالا مودو دمبويا Dala Modu Dumbuya (1770 - 1842 م). كان تاجراً من قبيلة الصوصو، وكان ذا نفوذ واسع بين القبائل في الداخل مما جعل منه وسيطاً بين تلك القبائل وبين الحكومة، وكثيراً ما استخدم نفوذه في

---

(62) انظر: A Short History of S. Leone P. 54.

(*) الآكو (AKU) إحدى قبائل اليوربا، ولكن تطلق اليوم على المسلمين القاطنين في فريتاون.

(63) المصدر السابق ص 55. والإسلام في سيراليون، مجلة الأزهر السابقة.

إخماد الثورات ضد الحكومة، ولكن إسلامه كان عيبه الوحيد في نظر المستعمرين، وللتخلص منه، اتهمته الحكومة بالنخاسة، ولدى مثوله أمام المحكمة لبس الزي الإسلامي بدلاً من الزي الأوروبي الذي تعوّد على ارتدائه في بعض الرسميات الأمر الذي أغاظ الحاكم فأمر بنفيه من فريتاون(64).

كانت تلك أمثلة بسيطة أوردتها عن موقف التنصير والاستعمار من الإسلام والمسلمين عند التقائهما في سيراليون، ونلاحظ منها الصلة الوثيقة والعلاقة المتينة بين التنصير والاستعمار، ولا عجب فقد كان الحكام والإداريون الاستعماريون منصرين.

الخاتمة:

بناء على كل ما تم عرضه ومناقشته، يمكننا القول بأن كل ما فعله التنصير والاستعمار منذ حملة الكشوف الجغرافية، مروراً بتأسيس مستوطنة سيراليون، وتهجير العبيد المحررين من العالم الجديد ومن أنحاء من إفريقيا، واتخاذ بريطانيا منها قاعدة لمحاربة الاسترقاق وتجارة الرقيق، ثم قاعدة لينطلق منها التنصير المسيحي وتعاليمه والحضارة الأوروبية إلى أجزاء من غرب إفريقيا، ومنفذاً لتمرير التجارة الأوروبية إلى المنطقة، انتهاء بالإعلان الرسمي عن الاستعمار الأوروبي على إفريقيا، وما تبع ذلك من إعاقة سير الإسلام واضطهاد المسلمين في سيراليون وحرمانهم من التعليم؛ كل ذلك يقودنا، من خلال هذا البحث، إلى نتائج نلخصها في النقاط الآتية.

* شكل الوجود الإسلامي القوي المبكر في الداخل حصاراً على المسيحية في السواحل لقرون بعد دخولها.

* إن ما قامت به بريطانيا ـ حكومة وهيئاتٍ وأفراداً ـ من إقامة المستوطنة ومحاربة تجارة الرقيق، كان الغرض منه تنصيرياً واستعمارياً وتجارياً أكثر منه إنسانياً وبخاصة إذا علمنا أنها لم تقم بذلك إلا بعد انفلات العالم الجديد من سيطرتها وسلطانها.

---

(64) انظر: Sierraleone Heroes. P. 16.

* كان استيطان العبيد المحررين الذين كانوا يرون في البريطانيين منقذاً لهم، سبباً في أن تكون سيراليون، فيما بعد، أكثر دول إفريقيا إخلاصاً وإذعاناً للتاج البريطاني في التقاليد والثقافة والأساليب الاجتماعية.

* لم تكن عناية التنصير والاستعمار بتعليم المستوطنين إلا لخدمة مصالحهما وتنفيذ خططهما، وتحققت أهدافهما في ذلك إلى حد بعيد، فقد ساهم المستوطنون السيراليونيون مساهمة فعالة في نشر المسيحية والحضارة والتجارة الأوروبية في كل المستعمرات البريطانية في غرب إفريقيا.

* فشلت جميع وسائل التنصير في تحويل القبائل من الداخل إلى المسيحية إلا وسيلة التعليم التي استطاعوا أن يتصيدوا بها أفراداً من القبائل.

* كان تمكين التنصير والاستعمار الأقلية المستوطنة «الكريول» من تولّي زمام الأمور، قضاء على كثير من معالم الحضارة الإفريقية الوطنية في سيراليون، وفي مقدمتها اللغة، فسيراليون هي الدولة الوحيدة في غرب إفريقيا التي لا يتفاهم أفرادها من خلال لغة محلية إفريقية (اللغة المشتركة). وإنما لغتها المشتركة هي لغة المستوطنين «الكريو».

* وأخيراً، إن ما كان بين الإسلام والمسلمين وبين أعدائهم في سيراليون هو نفسه ما حدث ويحدث لكل أفراد أو جماعات تعلن، بثقة وقناعة، عن إيمانها القوي بهذا الدّين. فأعداء الإسلام هم هم منذ فجره إلى الساعة، وإنما تختلف الأشخاص والأزمنة والأمكنة. فقد اضطهد مسلمو سيراليون وأوذوا فهاجروا ثم حُورِبوا وأخيراً انتصروا بقوة عزيمتهم، ونصرهم الله بإيمانهم الثابت الراسخ بالواحد الأحد القاهر فوق عباده.